التأخيروتطاول أطراف النظم في العربية

د. هبة هلال

مدرس العلوم اللغوية

كلية التربية، جامعة الإسكندرية

مصر

الاستلام	٢٠١٧\٥\٢٧	المراجعة	٢٠١٧\٧\١٧	النشر	٢٠١٧\٨\٣١

الملخص:

التقديم والتأخير سمة موقعية تعرض لبعض الوظائف التركيبية في العربية، لها شروط وأحكام تتعلق بالشق الإجباري منها، ولها جانب جائز يمنح للمتكلم مزيد حرية في نظم لغته وأسلوبه. وهذا الأخير سعى وراءه كل من النحاة والبلاغيين في سبيل تتبع دلالاته المختلفة في سياقات العربية ونصوصها، ووصلوا إلى غايات معدودة يحققها هذا السمت الأسلوبي.

ويتعرض البحث لهذه الظاهرة في جانبها الجائز؛ محاولا أن يضيف غاية نحوية دلالية يحققها التأخير في بعض السياقات، وهي أن التأخير يتم بسبب تطاول أطراف النظم، أو بمعنى آخر نظم الجمل بالشكل الذي يناسب فيه كل جزء جزأه، وتواتر ذكر ما يرتبط بعضه بعضا، وهو ما لا يتحقق إلا في متطاول الجمل، التي تقتضي أحكاما وقواعد تختلف عن مستصغر الجمل.

وعلى هذا الأساس اتبع البحث خطا منهجيا يقوم على: مقدمة، ومهاد نظري، وثلاثة مباحث تطبيقية، وخلاصة، ومسرد لإحالات البحث. أما المهاد النظري فاعتنى بتقديم الإطار الفكري الذي يعتمده البحث مع تفصيل معتقده، أما التطبيق فكان أولا على المفعول به وظيفة تركيبية، وانقسم فيه البحث إلى تأخير جملة مقول القول عن لام التبليغ ومجرورها، وتأخير المفعول المفرد، وثانيا كان الفاعل وتأخيره، وأخيرا كان تأخير المبتدأ، ثم الخلاصة التي جمعت ما انتهى إليه البحث.

الكلمات المفتاحية:

التقديم والتأخير، التطاول، لام التبليغ، تأخير المفعول به، تأخير الفاعل، تأخير المبتدأ.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

Postposing and Extending the terminals of the Structure in Arabic Language

Dr. Heba Helal

Assistant Professor of Linguistic Sciences

Faculty of Education, Alexandria University, Egypt.

Received	27/5/2017	Revised	17/7/2017	Published	31/8/2017

Abstract:

Preposing and Postposing is structural feature that is found in some of the structural functions in Arabic, and there are conditions and rules that govern the compulsory aspect of this feature. There is also an aspect of probability of this feature that grants speakers more freedom in structuring their language and manner of articulation. The later aspect was sought after by grammarians and rhetoricians who tracked its different indications in the contexts and texts of Arabic until they arrived at a number of objectives which this feature achieves.

The thesis examines the probable side of this phenomenon with an attempt at finding the semantic and syntactic goal which postposing achieves in some contexts; postposing happens as a result of extending the terminals of the structure, in other words, sentences are constructed in the form in which each constituent matches the other and elements of the sentence are placed according to their relevance to each other. This happens only in long sentences which are governed by rules that are different from that of short sentences.

Accordingly, this thesis adopts a methodical approach that is based on an introduction, a theoretical background, three applied topics, a conclusion, and an index of references. The theoretical section presents the conceptual framework the researcher adopts with the ideas presented in detail. The applied section discusses firstly the direct object as a structural function, divided in this research into two subparts; the first is postposing the conveyed message after "Lam AT-Tabligh" (the letter "lam" which is attached to the intended addressee) and the second is postposing the singular object. The second part of the applied section discusses postposing of the subject and the third discusses postposing of the subject of the nominal sentence. Finally, the conclusion sums up the results of the research.

Keywords:

preposing and postposing, extension of sentences, "Lam AT-Tabligh", postposing the object, postposing the subject, postposing the subject of the nominal sentence.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

المقدمة:

يعد باب التقديم والتأخير ذا شأن في العربية، بحثه علماء العربية قديما وحديثا للوقوف على دقائقه وأغراضه وشروطه، ويعد هذا البحث خطوة في درب درس هذه الظاهرة. وتتجلى فكرة البحث في مدارسة غرض يحدث لأجله التأخير، ألا وهو طول المؤخر، ومن ثم يُقَدَّم العنصر النحوي القصير تركيبا، في سبيل إتاحة الفرصة للعنصر النحوي المتطاول أن يأخذ مساحته ويعرض أجزاءه دون لبس أو إبهام. وهذه المدارسة لا تقف عند حدود الظاهرة في إطارها الضيق، بل تحاول ربطها بأفقها النصي، وما يشابهها من شواهد أخرى، لاسيما في آيات القرآن الكريم، سعيا وراء فهم الظاهرة في صورتها الكلية.

وفي سبيل هذه الغاية قُسّم البحث إلى مهاد نظري وثلاثة مباحث تطبيقية، اختص المهاد بتفصيل فكرة البحث ومصطلحاته، أما المبحث الأول فعرض تأخير المفعول به وظيفة نحوية في التركيب العربي، وانقسم إلى نقطتين، الأولى اعتنت بدرس جملة مقول القول المؤخرة بعد لام التبليغ المقدمة. أما الثانية فاهتمت بتأخير المفعول به المفرد في الجملة العربية. ويأتي المبحث الثاني لدرس شواهد تأخير الفاعل، أما المبحث الثالث فعرض شواهد تأخير المبتدأ. ثم خلاصة لأهم عناصر البحث وما وصل إليه.

هذا، ونلفت إلى عدد من الدراسات أفاد منها البحث، كانت أساسا لدرس الجملة العربية التي طالت مقيداتها من وجهات نظر عدة، منها كتاب الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف " **بناء الجملة العربية** "، الذي درس الجملة العربية وطرق إطالتها المختلفة، ودراسة الأستاذ الدكتور محمود نحلة " **نظام الجملة في شعر المعلقات** " التي تعرضت لأنماط الجمل وأشكالها في شعر المعلقات، ودراسة الأستاذ الدكتور زكريا شحاتة الفقي " **من زيادة الأحرف الهوامل في التراكيب – بحث في أصول النبر الدلالي وصوره في العربية** " الذي لفت فيه – ضمن ما لفت -إلى الآثار المترتبة على طول الكلام، ومنها إشارة إلى موضوع البحث. وفي كلامهم غناء عن أي كلام؛ لذا أترك لهم عهدة النظر في موضوع طول الكلام وسببه وأحكامه .

ولا يسعني – في نهاية الأمر – إلا تمني التوفيق والسداد فيما زعمت، فشأن العربية عظيم، لا يحاط به، وحسبي إخلاصي في خدمتها، واجتهادي في درسها. والله المستعان في كل حال.

مهاد البحث:

لباب التقديم والتأخير في العربية شأن كبير؛ إذ يمثل سنة من سنن العرب في كلامهم، سمح به الإعراب الذي تتميز به العربية، فمكّن المتحدثين من تشكيل لغتهم وصياغتها وفق ما يقتضون، وجعل بين التراكيب اختلافا يعكس ظلالا دلالية لا تتطابق مع كل تركيب.

ومع الأهمية الكبرى للتقديم والتأخير في فهم دقائق المعنى أفرد له العلماء، نحاة وبلاغيون، مباحث خاصة تعرض للظاهرة وأنواعها، منطلقين من وجهات نظر متباينة، يجمعهم مسلّمة أعلنها سيبويه، مفادها: "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم"[1]، فكانت شعار البحث والدرس لتلك الظاهرة.

أما البلاغيون فقد نظروا للأمر من حيث الدلالات التي يؤديها هذا العدول الأسلوبي، ويأتي في مقدمتهم عبد القاهر الجرجاني، الذي بحث مزية التراكيب ومواطن تفرد بعضها عن بعض، وكان مبدؤه البحث عن سر العناية ومستدعى الاهتمام[2]، والذي يهمني اللفت إليه هو تقسيم عبد القاهر التقديم والتأخير إلى[3]:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

1- تقديم على نية التأخير، ويقصد به التقديم والتأخير الذي يقع للوظائف النحوية مع الاحتفاظ بوظائفها كتقديم المفعول على الفاعل والخبر على المبتدأ.

2- تقديم لا على نية التأخير، وهو تقديم المعاني بعضها على بعض كتقديم السماء على الأرض مثلا.

فالنوع الأول يدخل في اهتمامات علم النحو، والثاني يدخل في مجال البلاغة والدلالة؛ لأنه تقديم يتعلق بالمنطق وقصد المتكلم. وقد سار البلاغيون[4] خلف شيخهم في هذا التقسيم مع محاولة استقصاء الدلالات التي يرد لها التقديم والتأخير النحوي.

أما النحاة فأوسعوا تلك الظاهرة بحثا في ثنايا درسهم لأبواب النحو العربي، وما يتعلق بكل وظيفة نحوية من إمكان التحرر من رتبتها وجوبا وجوازا. منهم ابن السراج الذي جمع مسائل التقديم والتأخير في باب واحد في أصوله[5]، وابن جني[6] الذي لم يفته أن يدلي بدلوه فيها في غير موضع[7] في خصائصه.

وكما انسحب المصطلح عند البلاغيين على التأخير النحوي والمعنوي معا، نجد شبها لهذا لدى النحاة حيث عبروا عن التقديم والتأخير – أحيانا – بمصطلح "القلب" الذي جمعوا تحته غير معنى[8].

والذي يهم بحثنا هو التأخير من الناحية النحوية؛ إذ يرى البحث في بعض سياقات التقديم والتأخير اهتماما بالمؤخر[9] لا المقدم، وهذا الاهتمام يظهر في طول المؤخر وكثرة متعلقاته ومقيداته، فيتم تأخيره لترك المساحة لعرضه وإبرازه وتركيز الضوء عليه، بوصفه العنصر المهم في الجملة، أو العنصر المراد إبانته وتحديده.

فما أود قوله إن التأخير قد يُستخدَم تقنية من التقنيات الأسلوبية التي تسمح للمتكلم أن يطيل من متعلقات المؤخر وتفصيلاته؛ رغبة في تسليط الضوء عليه وتكثيف دلالته بالقدر الذي يرغب فيه ويتضمنه معناه، وبهذا يكون المؤخر هو محور الأهمية في الجملة ومدار العناية التي يراد إبرازها. ومن ثم يمكننا إدراج هذه الغاية ضمن الغايات التي يعدل فيها المتكلم عن الترتيب الأصلي للجملة إلى تأخير بعض عناصرها التركيبية أو تقديمها، مع الاحتفاظ برتبها النحوية.

أما مصطلح التطاول فأقصد به أن يحتل الوظيفة النحوية مركب اسمي[10]، أو مفرد طال بتبعية أو تقييد؛ مما يجعله يأخذ مساحة في النظم تتعدى موقع الكلمة المفردة، وهو أمر يمكن أن نصادفه في صنفي الجملة العربية. كذا فإن أطراف النظم في البحث مقصود بها العنصر النحوي المؤخر لتطاوله؛ مما جعله في نهاية جملته؛ أي في طرفها.

أما تجاوب أطراف النظم فتعبير أخذ من القدماء،[11] سيرد ذكره في النقول تاليا، يعبر عن نوع تنسيق يحدث بين الكلم، بحيث ينظم بكيفية تسمح بمشاكلة بعضه بعضا، وذا في الشواهد التي يتكرر فيها التأخير؛ لأن حدوث هذا التأخير غير مرة في الشاهد الواحد يؤدي إلى ملائمة الكلام بعضه بعضا نسقا وتركيبا، ومن ناحية أخرى يعمل على انتفاء بُعد ما يتصل ببعضه، ولا يتم ذلك إلا في طول الكلام؛ لما يتطلبه – أقصد الكلام المتطاول – من دقة وحسن سبك، تلافي حدوث الالتباس لدى المتلقي والتداخل في المعاني. فتأخير المفعول ذي الطول– مثلا – وتقديم الجار والمجرور يأتي لاستيفاء متعلقات الفعل من ناحية، ولترك الفرصة لعرض المفعول به كاملا متصلا من ناحية أخرى، وهكذا، تنتظم أطراف الكلام وينسبك نظمه.

والذي يدل على تأييد القدماء لمبدأ طول الكلام وحرصهم عليه مقولة وجدتها لابن المنيَّر على هامش الكشاف تعليقا على تفسير الزمخشري للآية المائة والخامسة والخمسين حتى الآية المائة والستين من سورة النساء، يقول ابن المنير: "قال محمود: إن قلت: بم تعلقت الباء في قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ ؛ قلت: إما أن تتعلق بمحذوف، كأنه قيل: فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا. وإما أن تتعلق بقوله : ﴿ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ ﴾، على أن قوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾بدل من قوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ انتهى كلامه. قلت: ولذكر البدل المذكور سر، وهو أن الكلام لما طال بعد قوله : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم ﴾

حتى بَعُد عن متعلقه الذي هو " حَرَّمْنَا " قوي ذكره بقوله:﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ حتي يلي متعلقه، وجاء النظم به على وجه الاقتصار في إجمال ما سبق تفصيله".[12]

وهذا يدل على اعتبارهم لطول الجملة، وللبس الذي قد يحدثه إذا لم تتوازن أطرافه، أو بمعنى آخر تباعدت متعلقاته؛ ومن ثم حسّنوا الوجوه التي تدعم ربط الأخير بالأول في حال ارتباطه بما تباعد عنه من عامل، لما قد يؤدي من لبس في الفهم عند انتفاء هذا الربط.

المبحث الأول: تأخير المفعول به

المفعول به رتبته التأخر عن الفعل والفاعل، وهو – أيضًا – من الوظائف النحوية التي تتسم بحرية الحركة داخل التركيب (ما لم يمنع مانع من القواعد)، فقد يتقدم على الفعل أو الفاعل، وقد يتم التقديم والتأخير بين المفاعيل إذا تعددت في الجملة الواحدة.

ويدور الحديث في هذا المبحث حول شقين، الشق الأول تأخير مقول القول وتقديم لام التبليغ ومجرورها. والشق الثاني تأخير المفعول به الأول وتقديم الثاني عليه، أو تقديم شبه الجملة.

أولا: تأخير مقول القول

من المعروف أن جملة مقول القول تقوم بوظيفة المفعول به لأفعال القول داخل التركيب، وهي جمل تتسم بالطول كثيرا؛ لأنها عادة ما تخرج من حيز المفرد إلى الجملة أو جمل عدة. والدراسة تنصب على جملة مقول القول التي تأخرت وقد قدمت عليها لام التبليغ[13] واسم سامع القول أو ما في معناه. وكان اتجاه البحث صوب الفعل (قال) في القرآن الكريم وما تأخر فيه جملة مقول القول مع تقديم لام التبليغ. وباستعراض آيات الذكر الحكيم نجد أن الفعل (قال) ورد تسعا وعشرين وخمسائة مرة، أما ظهور لام التبليغ مع هذا الفعل فبلغ ثلاثا وسبعين مرة، واللافت تقدُّم اللام في جميعها، فتقدمت على مقول القول في واحد وخمسين شاهدا[14]، وتقدمت على الفاعل في باقي الشواهد (اثنين وعشرين شاهدا)[15].

أي إن اللام اطرد تقدمها في مجمل الشواهد؛ مما يعد خصيصة أسلوبية لاستخدامها، وإن اطراد هذا التقدم تم على حساب تأخر الفاعل أو المفعول وإن كانت كفة الشواهد ترجح تقدمها على المفعول به.

ويمكن تأمل تلك الإحصاءات من خلال الشكل التالي:

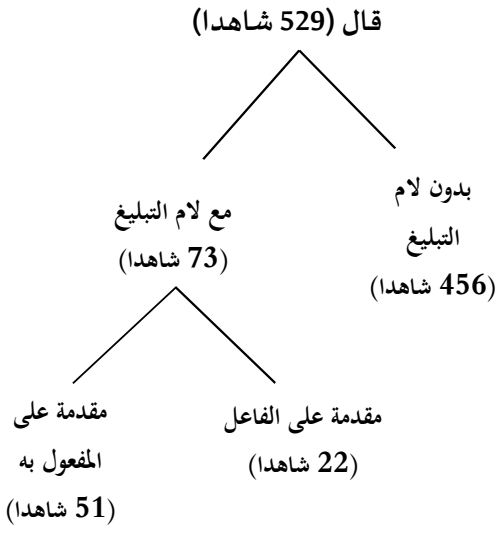

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

هذه النسب والإحصاءات كان لابد من تصديرها قبل الالتفات إلى تحليل الشواهد نفسها لنقدر شكل الظاهرة وحدودها[16].

وأول ما يقابلنا في القرآن الكريم من شواهد لام التبليغ قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[17]. حيث الفعل (**قَالَ**) وفاعله (**رَبُّكَ**)، فلام التبليغ وما دخلت عليه (**الملائكة**)، فجملة مقول القول ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾. أي إن الجملة التزمت في نسقها بالترتيب الأصلى للوظائف التركيبية فيما يخص الفعل والفاعل، وعُدل في شبه الجملة وجملة مقول القول عن الترتيب الأصلي.

أما جملة مقول القول فهي اسمية منسوخة بـ (إن)، وخبرها اسم فاعل عامل ناصب لمفعول به (خليفة)، ومضمنة لظرف الجعل (في الأرض). هذه المقيدات التركيبية المتشابكة لم يكن ليسلط عليها الضوء وتظهر خطورتها لولا موقعها وتأخرها، وانفرادها في الوقت ذاته بعجز الجملة، لاسيما أن القارئ كثيرا ما يقف عليها لانتهاء نفَسِه لقراءة الجملة المستأنفة ﴿ **قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا** ﴾.ولن نجد تلك الغايات متحققة إذا التزمنا بالترتيب في الجملة، فجاء المفعول به أو جملة مقول القول مباشرا للفعل والفاعل، مع تأخر شبه الجملة في نهاية الجملة. يقول أبو السعود العمادي: "(للملائكة) للتبليغ، وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر كما مر مرارا"[18] [19].

والأمر ليس للتشويق كما أشار المفسر الجليل، وإنما لتشكيل الجملة بالشكل الذي يسمح لها بفرد المساحة المناسبة للخبر الأخطر في الآية، ألا وهو خلق الخليفة، فالأهمية ليست في تقديم المخاطَبين، وإنما في مضمون القول؛ ولذا انتهت الآية الكريمة من ذكر من يوجه لهم الحديث حتى تفرغ لذكر الحديث نفسه.

ويشابهها في التركيب آيتا سورة الحجر: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [20]. ، وآيتا سورة ص: ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾[21]، إلا أنها لما زادت في المضمون زادت في التركيب؛ إذ تعرضت آية سورة البقرة إلى أمر خلق الخليفة البشري، أما آيتا سورة الحجر وص فعرضت لطبيعة هذا البشري وكنهه وأمر السجود؛ لذا زاد التركيب بعطف على الجملة المنسوخة بجملة شرطية ، وكأن الآيات في السور الثلاث تدرجت في عرض الأمر مضمونا وتركيبا .

أما الآية الحادية عشرة من سورة الأعراف: ﴿ **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** ﴾ فتركز على مشهد عصيان إبليس أمر السجود؛ ومن ثم اختلفت في التركيب؛ إذ اختلفت صيغة الفاعل فأصبحت ضمير جمع المتكلمين (نا) عائدة على الله - عز وجل- لتصوير مدى الجرم الذي وقع فيه إبليس؛ إذ عصى أمرا مباشرا لرب العالمين، بالإضافة إلى الاتساق –في استخدام ضمير الجمع تعبيرا عن رب العالمين- مع ما سبق من آيات في سورة الأعراف. وكذا اختلف القول عن الآيات السابقة تركيبا؛ فجاء جملة طلبية أمرية (اسجدوا) مناسبة للمشهد الذي تركز عليه الآية .

ومن الآيات التي طالت فيها جملة مقول القول بعد لام التبليغ بشكل لافت قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [22]. فنجد فعل القول متلوا بلام التبليغ وما دخلت عليه (لقومه)، ولعل تحديد من يتوجه لهم الخطاب كان ضروريا؛ لأن الآية الكريمة فيها لفت إلى قصة نوح- عليه السلام- وهو لفت غير مسبوق، بمعنى آخر أن الآيات السابقة على الشاهد المذكور كانت تعرض افتراءات الكافرين على المولى- عز وجل- وظنونهم به، وتفنيد هذه الظنون، ثم

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548
سياقات اللغة والدراسات البينية
Contexts, Language and Interdisciplinary Studies
المجلد الثانى العدد السادس اغسطس 2017

انتقلت مباشرة إلى ذكر نبأ نوح مع قومه؛ استطرادا لذكر الكافرين وأنواعهم المختلفة، ولأن الخطاب موجه لغير المؤمنين، كان لزاما أن تُحدد وجهة الخطاب (قومه)، وكأن لسان حال الآية يقول: الكافرين من قومه. ومن ناحية أخرى فإن في تقديم لام التبليغ ومجرورها اتساق مع ما ورد في القرآن الكريم عامة، وما ورد في سورة يونس خاصة؛ إذ وردت لام التبليغ ثلاث مرات (الآيات 28-52-80) تقدمت فيها جميعا .

أما جملة مقول القول فمصدرة بالنداء (يا قوم) وليس في ذكر (القوم) مرة ثانية تكرارا؛ لأن الآية بها من التحدي وقوة المواجهة ما يستلزم الإشعار بهما، فكان من دواعيهما نداء من يُوجه لهم الخطاب إشعارا بعدم الهيبة اوالخوف.

ونجد الجملة الشرطية مقيدة بقيدين[23] (مقامي) و (تذكيري بآيات الله)، فجملة اعتراضية (فعلى الله توكلت)[24]، ثم جملة جواب الشرط (**فَأَجْمِعُوا**) ، فعطفا متتاليا بثم والواو والفاء. وهذا العطف الأخير يعبر بنا إلى جملة شرطية جديدة، ركناها: (إن توليتم) و (فما سألتكم). ثم تعقيبين أخيرين (إن أجرى إلا على الله) و (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

ولنتصور- جدلا – وضع لام التبليغ مؤخرة في نهاية الآية الكريمة، وننظر مدى الفوت الذي فات على التركيب من هذا النسق الجديد. أولا سيطول الفصل بين الجار والمجرور ومتعلقه؛ مما قد يلبس في تحديد هذا التعلق. ثانيا: إن الغرض الدلالي للآية يرتكز على التدرج الانفعالي للمعنى، فيبدأ بالتحدي السافر الذي امتلأ به أسلوب الشرط، ثم يقل الانفعال في أسلوب الشرط الثاني الذي ينفي فيه الرغبة في المال أو الطمع فيما يمتلكونه من متاع. فالوصول إلى نهاية الآية التي يعلن فيها عن دينه وديدنه (**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**). فهي الكلمة الفصل بينه وبين قومه، وهذا التعليق الأخير هو المطلوب أن يثبت في الذهن ويعلق بالنفس، وبه تنتهى الآية الكريمة وعليه تؤسس الدعوة بكاملها؛ ومن ثم ستفوت هذه المزايا كلها لو روعي ترتيب الكلام.

ثانيا: تأخير المفعول به

المفعول به وظيفة نحوية رتبتها التأخر عن الفعل والفاعل كما ذكر آنفا، وفي هذا المبحث نعرض شواهد تبرز تأخر المفعول به، إما عن المفعول به الثاني، وإما عن شبه الجملة المقدم. وذلك لطول يعرض للمؤخر، إما لنعت أو عطف أو غيرهما؛ مما يثبت أن التأخير بسبب طول المؤخر هي سمة من سمات التعبير العربي.

وقد كانت عينة البحث وشواهده مستقاة من أفعال، من نحو: أخرج، وجعل، وسخر، وأنزل من القرآن الكريم، وجد فيها البحث ضالته في تأخر المفعول به على حساب شبه الجملة المقدم. وقبل عرضها أبدأ أولا بعرض آية سورة البقرة التي تأخر فيها المفعول الأول عن الثاني[25] في قوله تعالى: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**﴾[26]. وذلك لطول المفعول الأول (**ذَوِي الْقُرْبَىٰ**) بكثرة معطوفاته (اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب). يقول أبو السعود العمادي: "(ذوي القربى) مفعول به أول لآتى، قُدم عليه مفعوله الثاني، أعني (المال)؛ للاهتمام به، أو لأن في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الأطراف في الكلام"[27]. واللافت أن الآية الكريمة تبدأ بتقديم وتأخير بسبب طول المؤخر، وسوف نعرضه – بإذن الله في مبحث تأخير المبتدأ.

ويظهر في سورة البقرة – أيضا – سابقا للآية المشروحة آنفا قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾[28]. وإنما آثرنا عرضها تالية للأولى؛ لتقدم شبه الجملة وتأخر المفعول، وفيه فضل تفصيل آثرنا ترك المساحة له.

واللافت تكرار تقدم شبه الجملة على المفعول في الآية نفسها، حيث تقدم (لكم) على (الأرض) التي طالت مقيداتها بالحال (فراشا) و العطف (السماء) المتبوع بحاله (بناء)[29].

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ذاك الطول هو ما سوغ التأخير، أو لنقل من ضمن مبررات التأخير الذي حدث في الآية الكريمة؛ ليكون المفعول وما قيد به في إطار واحد ونظم متتال مترابط، دون تأخير لشبه الجملة في آخر الجملة فتفقد – هى الأخرى – ميزتها التخصيصية، ويلبس على القارئ متعلقه. لذا قيل في فائدة تقديم شبه الجملة: "لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين، وللتشويق إليه، لأن النفس عند تأخير ما حقه التقديم – لاسيما عند الإشعار بمنفعته – تبقى مرتقبة له، فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن، أو لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول. فلو قدم لفات تجاوب أطراف النظم الكريم"[30].

والتأخير الآخر في الآية الكريمة تم للمفعول (ماء) على حساب شبه الجملة (من السماء)، وهذا التأخير تم ليربط المفعول بالمسبب عنه، أي خروج الثمرات، وهو نوع من أنواع تطاول المؤخر على المستوي الدلالي، وهو كون المؤخر سببا لما يليه من معان؛ فكأن التأخير تم لإلصاق السبب بالنتيجة دونما فصل. وقد عبر أبو السعود عن ذلك مجملا بقوله: "وأما تقديم الظرف على الوجه الأول[31] مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح، فإما لأن السماء أصله ومبدؤه، وإما لما مر من التشويق إليه، مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى: (فأخرج به)، أي بسبب الماء (من الثمرات رزقا لكم)"[32].

وقد وقفت على عدد من الشواهد[33] التي تؤيد ذاك المذهب، من حدوث التأخير لتطاوله، وهذه المرة كان التطاول بلام التعليل التي ربطت دلاليا بين المؤخر وما بعده ربط السبب بالنتيجة، وتركيبيا بين شبه الجملة (لام التعليل وما دخلت عليه من أفعال) والمؤخر، الذي كان في أغلب شواهده مفعولا به، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا**﴾ [34]، فالنجوم مفعول به للفعل (جعل)[35] وأخر عن شبه الجملة (لكم) لينتظم مع شبه الجملة التالي (لتهتدوا) المتعلقة بالفعل، وهو في الوقت ذاته ربط بين السبب (النجوم) ونتيجته المترتبة على وجوده الهداية في السبل المختلفة.

المبحث الثاني: تأخير الفاعل

قد تعرض الفاعل – أيضا – بوصفه وظيفة نحوية إلى التأخير بسبب استطالته بعدد من المقيدات التركيبية، وذلك مع تقديم المفعول أو شبه الجملة أو كليهما؛ تبعا للسياق في كل شاهد.

والفاعل لا يكون جملة اتباعا للقاعدة المطردة، لكن قد تتعدد مقيداته بين النعت والحال والعطف وغيرها؛ مما يحتاج إلى مساحة تسمح باستطالة هذا الفاعل وما ارتبط به من وظائف تركيبية، وما صور الناقة في القصيدة العربية منا ببعيدة ولنقرأ معا قول زهير.[36]

هل تُبْلغني إلى الأخيار ناجيةٌ ... تَخدِي كوخْدِ ظَليمٍ خاضِب زَعِرِ
في يوم دَجْنٍ يُوالي الشدَّ في عَجَلٍ ... إلى لِوَى حَضنٍ من خِيفَة المطر
حتى تَحُلَّ بهم يوما وقد ذَبَلَت ... من سَيرِ هاجِرةٍ أو دُلْجَةِ السَّحَرِ

حيث تأخر الفاعل (ناجية) في حين تقدم المفعول به والجار والمجرور، وما حدث هذا العدول الأسلوبي إلا ليسمح باستعراض أوصاف الناقة وتتبع تشبيهها بالظليم؛ وفيه ما فيه من تركيز على صورة الناقة واستقصاء لأحوالها بدقة فائقة.

وقد وصفت الناقة أولا بالسرعة في السير (تخدي)، وثانيا بمشابهة سرعة الظليم (كوخد ظليم)، فالانتقال إلى وصف الظليم نفسه تتبعا لدقائق الصورة، فهو خاضب (أي تخضبت ساقاه من نبات الربيع)، وزعر (نشيط)، ويوالي ويسارع في مشيه في أجواء غائمة خشية المطر (يوالى الشد في عجل في يوم دجن). ثم الرجوع للالتفات للناجية التي تخدي (حتى تحل بهم يوما) فالجار ومجروره يرتبط بالفعل تخدي، ويلحقها الشاعر بجملة حال (وقد ذبلت من سير هاجرة أو دلجة السحر).

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

هذه الصورة المتكاملة للناجية لا يعقل أن تكون أقل عناية لدى المتكلم مما قدمه، بل كان يفرغ لها المجال لكيلا يعترضه تركيب الجملة الأساسي، أو ينسى السامع متعلق ارتباط الجار والمجرور المؤخر (إلى الأخيار) بالفعل في صدر الأبيات (تبلغي). وإذا كان تقديم المفعول به في عرف القاعدة النحوية تقديما إلزاميا؛ لكونه ضميرا والفاعل اسما ظاهرا، فإن في تقديم الجار والمجرور على الفاعل دليلا للبحث لما وصل إليه من استدلال في التحليل.

وطول الفاعل لا يكون فقط بما سبق من تقنيات تركيبية[37]، بل قد يتم - أيضا– بكون الفاعل اسم موصول، مما يستلزم جملة للصلة تشي بمقصود الكلام وتبين إبهامه، نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾[38]. فقد تقدم المفعول به (الكذب) وتأخر اسم الموصول الشاغل وظيفة الفاعل (الذين)، مع ما تتضمنه من جملة للصلة وشبه الجملة المتعلق بالفعل (يؤمنون)، ولفظ الجلالة الذي أضيفت إليه الآيات؛ لتركيز الضوء على صفات هؤلاء الكاذبين وخصائصهم، ولتختم الآية بتعليق أخير يؤكد صفاتهم (**وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**) ليتجاوب مع الكذب المقدم في بداية الآية. ولنستعر عبارة القدماء في قولهم إن هذا النظم كان يتفاوت جمالا ودقة إذا التزم برتبة كل من الفاعل والمفعول وموقعهما.

وقد طال الفاعل بالعطف في شواهد أخرى[39]، ولنقرأ قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ**﴾[40]، فالفعل كذبت أسند إليه الفاعل المؤخر (قوم نوح)، وفصل بينهما بالظرف الزماني (قبلهم) تسوية للكافرين على مر الزمان في التكذيب، ولأن الآية الكريمة من أهدافها تسلية الرسول- صلى الله عليه وسلم- كان تعداد المكذبين من قبل ضرورة، وقد بدأت بأقدمهم (قوم نوح) ومن تلاهم مرتبين تاريخيا (عاد وثمود وإبراهيم ولوط)

.

ومما تعاضد فيه الوصف والعطف لإطالة الفاعل قوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[41]، فالجملة الفعلية تعتمد على الفعل المضارع (يوحي)، والفاعل لفظ الجلالة، وأُخر الفاعل في سبيل تقديم الجار والمجرور (إليك) وما عطف عليهما (وإلى الذين من قبلك) لتتسع الآية في ذكر صفات هذا الموحي – عز وجل -، وبدأت بالصفات المفردة أولا (العزيز والحكيم)، ثم انتقلت إلى الوصف بالجمل الاسمية (له ما في السماوات)، وما عطف عليها (وما في الأرض)، ثم الجملة الاسمية المستأنفة (وهو العلي العظيم)، وهي مرتبطة بلفظ الجلالة بعود الضمير عليه.

المبحث الثالث: تأخير المبتدأ

للمبتدأ الصدارة في الجملة الاسمية، وقد يؤخر وجوبا لعارض يعرض للتركيب، وقد ناقش النحاة تلك العوارض تحت اسم مواضع تأخير المبتدإ وجوبا. منها: كون الخبر من ألفاظ الصدارة، أو كون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة، أو كون الحصر واقعا في المبتدإ، وغيرها[42]. وهو ما لا يخص بحثنا، لأنه – كما أشرت – لا يعنى بما يجب تقديمه وتأخيره، وإنما موضع العناية بما اختاره المتكلم من إجازات اللغة النحوية لعارض ما، وهو في بحثنا طول المؤخر الذي استدعى ترك المساحة له في النظم دون تقيد برتبة أوموقع.

ومن شواهد تأخير المبتدأ قوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** ﴾[43]. فالبر خبر ليس، واسمها المصدر المؤول (أن تولوا)، وهذا المصدر المؤول برغم كونه مؤولا بمفرد فقد تطاول تركيبه مما تطلب تأخيره. فهو مكون من الحرف المصدري (أن) والفعل المضارع مع فاعله واو الجماعة (تولوا) ومفعوله (وجوهكم) والظرف المكاني (قبل)، والمضاف إليه (المشرق)، والمعطوف (المغرب). وكلها تشترك في رسم المعنى المسند إلى البر في نهاية الأمر.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

يقول أبو السعود: "وإنما أخر ذلك لما أن المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير، من أنه لا يوصف ولا يوصف به، والأعرف أحق بالاسمية، ولأن في الاسم طولا، فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب أطراف النظم الكريم"[44].

ومن شواهد[45] تأخير المبتدأ – أيضا- قول طرفة بن العبد في معلقته[46]:

فلولا ثلاثٌ هُن من عيشة الفتى ... وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوَّدي
فمنهن سبْقُ العاذلاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيتٍ، متى ما تُعلَ بالماء تُزْبِدِ
وكَرِّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبًا ... كَسِيدِ الغَضا نَبَّهْتهُ المُتَوَرِّدِ
وتَقْصيرُ يوم الدجنِ، والدجنُ مُعْجِبٌ ... ببَهْكَنَةٍ تحت الخِباء المُعَمَّدِ

نظم الشاعر هذه الأبيات ليبدي احتفاءه بثلاث خصال تقوم عليها حياته؛ ولكي يوصل لنا ذاك المعنى أجملها في العدد (ثلاث) المنكر في سياق شرطي باستخدام (لولا) الدالة على الامتناع لوجود؛ لزيادة التشويق، وفي البيت التالي أراد أن يبدأ في تفصيل تلك الخصال فلجأ إلى تقنية التقديم والتأخير ليحقق - عن طريقها - هدفين، الأول استغلال تقديم شبه الجملة المكون من حرف الجر (من) والضمير (هن) العائد على (ثلاث) في ربط اللاحق بالسابق، وتصدُّر هذا الربط البيت ليضمن أعلى متابعة من المتلقي، والأمر الثاني – وهو ما يتعلق ببحثنا – إتاحة الفرصة لتفصيل ثلاث الخصال بصورة دقيقة تتطلب كثرة المقيدات التركيبية، فنجد المبتدأ (سبق) قد قُيد بالمضاف إليه وشبه الجملة (بشربة)، ووصف هذي الشربة بـ (كميت) و(متى ما تعل بالماء تزبد) ، ثم العطف عليه بـ (كري) وما قُيدت به، و(تقصير) وما قيّدت به، فطال المبتدأ ليشتمل على ثلاثة أبيات كاملة تفصيلا لـ (ثلاث) في صدر الأبيات.

وأتذكر في هذا المقام الأبيات التي حللها الأستاذ الدكتور محمد حماسة – رحمه الله – في كتابه "اللغة وبناء الشعر" لثعلبة ابن صُعَير المازني؛ إذ يقول[47]:

هل عند عمرةَ من بتاتِ مسافرِ ... ذي حاجة متروح أو باكر
سَئِم الإقامةَ بعد طولِ ثوائه ... وقضى لبانته، فليس بناظر
لعدات ذي أرب ولا لمواعد ... خلفٍ، ولو حلفت بأسحم مائر

فالشاعر قد صدر أبياته بتقديم وتأخير أتاحته له قواعد التركيب، فقدم الخبر شبه الجملة (عند عمرة) في سبيل تأخير المبتدأ المنكر المخصص (بتات مسافر) ذي الأوصاف المتعددة ليأخذ مساحته من النظم ؛ مما يؤهله لاحتلال الدور الدلالي الأخطر في الجملة بما له من مقيدات ونعوت تفاوتت بين الإفراد والجملة. وإلى هذا لفت د.حماسة ؛ إذ يقول: "وترتكز أجزاء التركيب التالية في وصف (مسافر) ، فندرك من هذا أن الاهتمام موجه إلى هذا المسافر نفسه ، وأن تقديم عمرة لم يكن من أجل الاهتمام بها ، بل من أجل أن ينصرف الوصف كله إلى هذا المسافر الراحل عنها ". فالأبيات تصف حال المتكلم وشعوره بالسأم والاضطراب، وهذه الحالة يناسبها الاستطراد في وصف شعوره وتمركزه حول ذاته.

وبعد، فهذه بعض الوظائف النحوية التي تعرضت للتأخير بسبب تطاولها، وهي قليل من كثير، فالدراسة لا تهدف للحصر بقدر ما تهدف للعرض ومناقشة الظاهرة . وأجو أن أكون وفقت فيما هدفت إليه.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الخلاصة:

1- إن تأخير ما حقه التقديم في بعض السياقات يهدف إلى إتاحة الفرصة للمؤخر المتطاول ليأخذ مكانه من النظم؛ درءا لأي لبس قد يحدث إذا التزم بترتيب الكلام، ويسمح بتتابع المعنى والاستطراد فيه.

2- التفت علماؤنا القدماء إلى تلك السمة من سمات الكلام العربي، واعتبروها في تحليلهم اللغوي ، والتفتوا كذلك إلى تكرارها في بعض الشواهد، فأطلقوا عليها: تجاوب أطراف النظم؛ لما لها من دور في تنسيق الكلم، ومناسبة كل جزء للآخر.

3- لا يقتصر التأخير – تحقيقا للغرض السابق – على وظيفة نحوية واحدة، بل وجدت شواهد تؤكده في كل من الجملة الاسمية والفعلية.

4- قد تعددت سبل إطالة هذا المؤخر بين العطف، والحال، والنعت، واستخدام اسم الموصول المحتاج إلى جملة صلة، واستخدام المصدر المؤول. وكلها إمكانات تُستخدم لتقييد المعنى وتحديده والإحاطة به.

الهوامش:

(1) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 ه)، 1385 ه – 1966 م، الكتاب، القاهرة، دار القلم ، تحقيق عبد السلام هارون 1/ 14- 15.

(2) يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 470 ه): "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر (التقديم والتأخير) في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف. ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه". دلائل الإعجاز، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص 108.

(3) السابق (بتصرف) ص106.

(4) ينظر على سبيل المثال: ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 637ه)، 1416 ه – 1995 م، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، صيدا، المكتبة العصرية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، 35/2 – 45. وقد أشار فيه إلى التقسيم نفسه – مع بعض التفصيل – الذي ذكره عبد القاهر. ورأى أن التقديم والتأخير التركيبي يؤدي معنى الاختصاص ومراعاة الفاصلة الموسيقية من ناحية، ومراعاة نسق تركيب الكلام في إشارة لامعة من ناحية أخرى. كذا ذكر السيوطي في الإتقان نقلا عن شمس الدين بن الصائغ (ت 876ه) المعاني التي يحققها التقديم والتأخير في كتاب الأخير: المقدمة في سر الألفاظ المقدَّمة، وهي: التبرك، والتعظيم، والتشريف، والمناسبة، والحض، والسبق، والسببية، والكثرة، والترقي من الأدنى إلى الأعلى، والتدني من الأعلى إلى الأدنى.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 ه)، 1974 م، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 40/3 – 46.

(5) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل (ت 316 ه)، 1417 ه – 1996 م، الأصول في النحو، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي، 222/2 وما بعدها.

(6) ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392 ه) 1999 م، الخصائص، الطبعة الرابعة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد علي النجار.

(7) وذلك نحو: "باب في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض" 294/1، و"فصل في التقديم والتأخير" 384/2.

(8) وقد لفت إلى ذلك الأستاذ الدكتور: زكريا الفقي في بحثه: "قلب الإسناد في العربية – دراسة آصلة ناخلة"، ومن الأمثلة التي ذكرها قول سيبويه: "وسألت الخليل: ما منعهم أن يقولوا: أحقا إنك ذاهب، على القلب، كأنك قلت: إنك ذاهب حقا؟" سيبويه 135/3.
د. زكريا الفقي، 2013 م، قلب الإسناد في العربية – دراسة آصلة ناخلة، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد التاسع والعشرون، المجلد الثالث، حواشي ص337 – 338.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

(9) لفت إلى تلك الغاية – باختلاف في الأسباب عن هذا البحث – الدكتور محروس بريك، في بحثه: "من دلالات التأخير في العربية". بحث منشور في يناير 2011 م ، في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الخامس.

(10) عرفه د. محمد حماسة- رحمه الله-أنه:" كل مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها عن غير طريق التبعية لتتمم معنى واحدا يصلح أن يشغل وظيفة واحدة أو عنصرا واحدا في الجملة، بحيث إذا كانت وحدها لا تكون جملة مستقلة" وجعله في: التركيب الإضافي، والأسماء التي تحتاج إلى ما تحتاج إليه أفعالها، والمصدر المؤول، والاسم الموصول، والاسم المميز (تمييز الفرد). بناء الجملة العربية، ص 59 وما بعدها.

(11) استخدمها أبو السعود العمادي في تفسيره: إرشاد العقل السليم، تعليقا على الآية الثانية والعشرين من سورة البقرة، حيث قال عن فائدة التقديم والتأخير في الآية الكريمة: "لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول. فلو قدم لفات تجاوب أطراف النظم الكريم". وسيأتي تحليل هذا الشاهد لاحقا في هذا البحث.

أبو السعود العمادي (ت 982 ه)، 1419هـ – 1999 م، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الطبعة الأولى، لبنان، دار الكتب العلمية، 83/1.

أما الفعل (جاوب) من حيث إسناده إلى الكلام فهو من باب المجاز كما نص صاحب الأساس؛ لأن الأصل الدلالي للفعل (القطع أو الخرق) وقد زاد عليه ابن فارس في المقاييس أصلا آخر، وهو مراجعة الكلام.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت 395 ه)، 1415 هـ – 1994 م ، معجم المقاييس في اللغة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، حققه شهاب الدين أبو عمرو، مادة (ج – و – ب). الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538 ه)، مايو 2003 م، أساس البلاغة، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مادة (ج – و – ب).

(12) ابن المنيّر، أحمد بن المنير الإسكندري، على هامش الكشاف، الانتصاف، 585/1 هامش2 .

(13) عرف المرادي لام التبليغ بقوله: "هي اللام الجارة اسم سامع قول، أو في معناه، نحو: قلت له، وفسرت له، وأذنت له"، وهو ما ذكره ابن هشام في المغني عند حديثه عن أنواع اللامات الجارة. ولم يسمها كل من الرماني المالقي في كتابيهما معاني الحروف ورصف المباني.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت 384ه)، 1404هـ – 1984م، معاني الحروف، الطبعة الثالثة، جدة ، دار الشروق، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص 55. المالقي، أحمد بن عبد النور (ت 702 ه)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص 218-219. المرادي، الحسن بن قاسم (ت 749)، 1413هـ – 1992م، الجنى الداني في حروف المعاني، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق: د.فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، ص99 . ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت 761 ه)، 1424 هـ – 2004 م ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الطبعة الأولى، مصر، دار السلام ، تحقيق ، 1/ 293.

(14) شواهد تقدم لام التبليغ ومجرورها على جملة مقول القول في القرآن مع الفعل (قال):

30/ البقرة ، 54/ البقرة ، 67 / البقرة ، 133 / البقرة ، 59 / آل عمران ، 20/ المائدة ، 74 / الأنعام ، 80/ الأعراف ، 128/الأعراف ، 142/ الأعراف ، 71 – 72 / يونس ، 4/ يوسف ، 21/ يوسف ، 42 / يوسف ، 62 / يوسف ، 6 / إبراهيم ، 13 / إبراهيم ، 21/ إبراهيم ، 28 / الحجر ، 34 / الكهف ، 37 / الكهف ، 60 / الكهف ، 62 / الكهف ، 42 / مريم، 73/مريم، 10/ طه ، 52 / الأنبياء ، 25 / الشعراء ، 34 / الشعراء ، 70 / الشعراء ، 7 / النمل ، 54 / النمل ، 29 / القصص ، 12/العنكبوت ، 16 / العنكبوت ، 28/ العنكبوت ، 13 / لقمان ، 32 / سبأ ، 33 / سبأ ، 43/ سبأ ، 47 / يس، 85/الصافات، 124/الصافات ، 71 / ص ، 49/ غافر ، 26 / الزخرف ، 11/الأحقاف ، 17/الأحقاف ، 16/ محمد ، 16 / الحشر ، 5/ الصف.

(15) شواهد تقدم لام التبليغ ومجرورها على الفاعل .

243/ البقرة ، 247 / البقرة ، 248 / البقرة ، 173 / آل عمران ، 80 / يونس ، 101/ الإسراء ، 37 / الكهف ، 66 / الكهف ، 61 / طه ، 90 / طه ، 43 / الشعراء ، 106 / الشعراء ، 124 / الشعراء ، 142 / الشعراء ، 161 / الشعراء ، 177 / الشعراء ، 18/ القصص ، 76 / القصص ، 71 / الزمر ، 73 /الزمر ، 11/ فصلت ، 13 / الشمس .

(16) والأمانة تقتضي أن نلفت أن ليست كل الشواهد التي قدمت فيها لام التبليغ على جملة مقول القول لتطاول الأخيرة، لأني وجدت بعض الشواهد حدث فيها التقديم والتأخير لمراعاة الفاصلة القرآنية، نحو الآيتين 25، و 70 من سورة الشعراء.

(17) 30 / البقرة .

(18) ما أحال إليه أبو السعود هو التشويق وليس الطول؛ لأنه بمراجعة ما سبق من آيات في تفسيره نجد الغاية إظهار المسرة والتشويق، وإن كان قد عزى التقديم والتأخير في الآية الثانية والعشرين من سورة البقرة إلى طول المؤخر ضمن جملة الأسباب التي عرضها، وسيأتي تحليل هذا الشاهد في الشق الثاني من هذا المبحث.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

(19) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم ، 1 / 107 .

(20) 28 -29 / الحجر .

(21) 71 – 72 / ص .

(22) 71 - 72 / يونس .

(23) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت 604 هـ) ، 1411 هـ – 1990 م ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 17 / 108 – 112.

(24) عرض الرازي في تفسيره لآراء بعض المفسرين من كون قوله تعالى: (فعلى الله توكلت) جواب الشرط، ولكنني استبعدت هذا الخيار، وأيدت ترجيح غيرهم إلى كونها جملة اعتراضية؛ لأن المقام مقام تحد، فالأنسب للمعنى أن يكون الجواب قوله: (فأجمعوا...).

(25) ومنه – أيضا – قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ 32/فاطر. وظاهر أن استخدام اسم الموصول أطال من التركيب؛ لما احتاجه من جملة صلة وما ارتبط بها من جار ومجرور متعلقين بمحذوف حال، ثم التفريع لأنواع العباد.

(26) 177 / البقرة .

(27) أبو السعود العمادي ، الإرشاد، 2/ 70. وتعليقه هذا مشابه لتفسيره للآية الثامنة من سورة النساء؛ إذ يقول: "(وإذا حضر القسمة) أي قسمة التركة، وإنما قدمت مع كونها مفعولا؛ لأنها المبحوث عنها، ولأن في الفاعل تعددا، فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب أطراف الكلام" 2 / 102. هذا، وقد نقل الألوسي في تفسيره "روح المعاني" قول أبي السعود؛ إذ يقول : "(ذوي القربي) مفعول أول لـ(آتى) قدم عليه المفعول الثاني للاهتمام، أو لأن فيه مع ما عطف عليه طولا، لو روعي الترتيب لفات تجاوب الأطراف".

الألوسي ،أبو الفضل شهاب الدين السيد (ت 1270 هـ)، 1417 هـ – 1997 م ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، بيروت، دار الفكر، 2/ 68 .

(28) 22 / البقرة .

(29) هذا في حال عد (جعل) بمعنى (خلق)، أما في حال عدها بمعنى (صير) فيكون الجار والمجرور تقدم على المفعول الأول، و (فراشا) هي المفعول الثاني، وكذا في قوله (السماء بناء).

(30) أبو السعود، الإرشاد 1/ 83 . ونقله – كذلك – الألوسي في روح المعاني 1 / 301.

(31) أي كونه ليس حالا للماء وأنه متعلق بـ (أنزل).

(32) السابق 1/ 84 ، وينظر – أيضا – الألوسي 301/1 وما بعدها.

(33) منها: 189 / الأعراف ، 67 / يونس ، 32/ إبراهيم ، 21/ الروم ، 8/ الزمر ، 79/ غافر ، 12 / الجاثية ، 19 – 20 / نوح.

(34) 97 / الأنعام .

(35) انطلاقا من أنها بمعنى (خلق).

(36) ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ، 2010 م ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، الطبعة الثالثة، القاهرة ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ص 316 . وقصيدته هذه يمدح فيها سِنان بن أبي حارثة المرّيّ .

(37) أقصد الوصف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ 83/ يونس

(38) 105 / النحل .

(39) ومن شواهد تأخير الفاعل – أيضا – لطوله بالعطف قول طرفة ابن العبد:

ولكن نفى عني الرجال جراءتي عليهم وإقدامي وصدقي ومَحْتدي

الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت 486 هـ) ، 1423 هـ – 2002 م ، شرح المعلقات السبع، الطبعة الأولى ، القاهرة، دار الكتاب الحديث ، ص 67.

(40) 42 - 43 -44/ الحج .

(41) 3 - 4 / الشورى.

(42) ينظر على سبيل المثال: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت 769 هـ)، 1400 هـ – 1980 م، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الطبعة العشرون، القاهرة، دار التراث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 1/ 228 وما بعدها.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

(43) 177 / البقرة .

(44) أبو السعود، الإرشاد ، 20/ 68.

(45) ومن شواهد تأخير المبتدأ – كذلك – قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

علينا البيض واليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنينا

الزوزني، شرح المعلقات السبع ، ص124.

(46) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص60 .

(47) حماسة، محمد حماسة عبد اللطيف، 2001م ، اللغة وبناء الشعر، مصر، دار غريب، ص 48 .

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548